القضايا الوطنية في كتابات رضا حوحو

الدكتور نورالدين عسال، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس

Assalnoureddine@yahoo.fr

الملخص:

أحمد رضا حوحو من الشخصيات الوطنية في الجزائر التي صارعت ضد الاستعمار الفرنسي من خلال مختلف أطيافه، التي شاركت في النضال من أجل تحرير المجتمع وحرية شعبه، وكتب العديد من المقالات حول المواضيع السياسية والسياسية التي تنكر الاستعمار السياسات في الجزائر.حارب حوحو ضد الاستعمار الفرنسي من خلال كتاباته على العديد من ثيمس الاجتماعية والسياسية التي تشجب السياسة الفرنسية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية: المقاومة-القضايا الوطنية-حوحو أحمد رضا

Abstract :

Ahmed reda houhou is one of the national personalities of Algeria who struggled against French colonization through his various erries ,engaged in the struggle for the emancipation of society and the freedom of his people ,he wrote several articles on subjects political and social policies that denounce colonial policies in Algeria.redha houhou fought against French colonialism by his writings on several social and political thèmes that denounce French politics in algeria.

تمهيد:

يعتبر أحمد رضا حوحو من بين الشخصيات العلمية الجزائرية التي كان لعا الدور الفعال في مقاومة الاستعمار الفرنسي الذي ظل طيلة عقود من الزمن وهو يحاول طمس الشخصية الوطنية بكل مكوناتها، فعمل جاهدا من خلال كتاباته الصحفية والقصصية والأدبية محاربة كل أشكال خنوع واستسلام الشعب الجزائري، الأمر الذي دفعنا إلى طرح إشكالية هامة تتمثل في دور هذه الشخصية في المجتمع الجزائري أثناء الاحتلال؟ وما هي القضايا الوطنية التي عالجها ؟

على الرغم من ابتعاده عن الوطن الأم لحين من الدهر، إلا أنه ظل متمسكا بوطنيته وحبه للجزائر، يتألم لآلامها ويفرح لأفراحها وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن العوامل التي ساهمت في تبلور هذه الوطنية؟

أ-عوامل تكون شخصية أحمد رضا حوحو:

1- تأثره بواقع الشعب الجزائري تحت الاحتلال الفرنسي.

2- تشبعه بالفكر الإصلاحي، فكان ذلك سببا في انضمامه إلى صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد رجوعه إلى الجزائر.

3- إتقانه للغة العربية و الفرنسية، فاللغة الفرنسية أتقنها لما كان طالبا بالثانوية الداخلية بسكيكدة ما العربية فلما التحق بمدرسة العلوم الشرعية، بقسم اللغة العربية العالية لمدة أربع سنوات.

4- امتهانه للعمل الصحفي بالحجاز، فقد كان أحد أعضاء جريدة المنهل منذ عام 1937، وذلك بدعم من أستاذه عبد القدوس الأنصاري.

5- إقامته في بلاد الحجاز، وخاصة في مكة التي كانت ملتقى الحجاج من كل أرجاء البلاد الإسلامية، مما جعله يطلع على الأفكار والتيارات السياسية التي انتشرت في تلك الفترة (**حوحو، أ.2005، 2006 :34**).

نظرا لهذه العوامل فقد عالج رضا حوحو العديد من القضايا الوطنية التي كانت لها صلة بالمجتمع الجزائري آنذاك ولعل من أبرزها :

ب- القضايا الوطنية في كتابات رضا حوحو:

ب-1 نقده للسياسة الفرنسية في الجزائر: لم يتخلف حوحو عن التعبير بصدق عن ذلك الواقع المزري الذي كانت تعيشه الجزائر في ظل الاستعمار، فنجده يركز على ثلاث كلمات هي: الحرية العدالة، الإنسانية، والتي تقابلها في الديانات السماوية: الرحمة، الشفقة والسعادة، غير أن هذه الكلمات لا تعدو أن تكون شعارات ترفعها فرنسا، في حين أن الواقع مغاير تماما، هناك سلب للحريات وظلم "نرى الديمقراطية المزيفة والحقوق المغتصبة، والمظالم الفظيعة، في هذا القرن الذي سمي كذبا وزورا عصر الحرية والنور، وما هو إلا عصر الظلم والطغيان، عصر الخداع والنفاق"(**حوحو، أ ر.1982 :55**).

تبرز هذه المظالم في وجود مجتمعين متناقضين تماما، مجتمع أوربي يتمتع بكل الحريات والحقوق والخيرات يقابله مجتمع لا يجد حتى ما يسد جوعه ويستر جسده**"نرى إنسانا حرم الحرية**

بأنواعها يختنق من شدة الضغط لا يكاد يتنفس، وآخر أعطي الحرية مضاعفة حتى وصلت إلى حد الفوضى و العبث بمصالح الأبرياء"(حوحو، أ ر.1982 : 55-56).

يقارن رضا حوحو بين حرية الرجل والمرأة، ثم يتوصل إلى نتيجة مفادها أن هذه الأخيرة تتمتع على الأقل بنوع من الحرية داخل بيتها الضيق الأرجاء، فهي السيدة داخله يلفها الحب والعطف والحنان أما الرجل فيعيش في سجن أوسع، حرم من كل خيرات بلاده التي استولى عليها سيده المستبد ثم يعطينا مقارنة بين وضعية السيد والمسود في عدد من مناحي الحياة نبينها فيما يلي(**البصائر.عدد29 :1948**):

- السيد يلبس أفخم الملابس، أما الجزائري فيلبس ملابس بالية لا تقيه لا الحر ولا البرد.

- السيد يأكل أطيب المأكولات ويحسد الجزائري على لقمة خبز سوداء.

- السيد يسكن القصور ويستكثر على الجزائري الأكواخ المهدمة البالية.

- السيد يبني أفخم المدارس و المعاهد ويتلقى أرقى العلوم والصناعات، ويحرم الجزائري من أبسط العلوم.

- السيد يفصل دينه ومعابده عن الحكومة، لكنه يرفض ممارسة ذلك مع الجزائري فهو "يمسك بمفاتيح مساجدك يفتحها لمن يشاء و يغلقها في وجه من يشاء".

مما سبق ذكره، يتطرق حوحو إلى مجموعة من القضايا الشائكة التي أوجدتها السياسة الفرنسية وحاربها الجزائريون، خاصة جمعة العلماء المسلمين الجزائريين، فإلى جانب التجويع والتفقير نجده يثير قضية فصل الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية و الذي كان من بين أهم مطالب الجمعية، وقد دفعه ذلك إلى إيجاد دينين في الجزائر، دين الشعب ودين الحكومة، أي الدين الحر الذي يتزعمه رجال الإصلاح ويعتنقه الشعب، والدي الرسمي الذي تشرف عليها الإدارة الاستعمارية ويحرسه أتباعها من موظفي المساجد والطرقيين(**حوحو، أ ر.1982 :15-16**)، أما القضية الثانية ذات الأهمية التي يثيرها رضا حوحو فهي قضية التعليم الفرنسي والعراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية أمام أبناء الجزائريين للالتحاق بالمدارس الفرنسية والتي سنتطرق إليها لاحقا.

ب-2 **موقفه من جمعية العلماء المسلمين:**

كان انضمام أحمد رضا حوحو إلى الجمعية عن اقتناع بمبادئها وأفكارها، ويقال أن لقاءاته بالشيخ الإبراهيمي في مكة كانت الدافع الرئيسي إلى ذلك، ويظهر أن هذا الانضمام كان له أثره الإيجابي على الجمعية كذلك، بدليل المسؤوليات التي تولاها كمنصب الأمين العام لمعهد عبد الحميد بن باديس

بعد تأسيسه في عام 1947، أو عضويته في مجلس إدارة الجمعية ثم عضوا في لجنة التعليم العليا(**حوحو، أ.2005-2006 : 41-42**).

نجد كاتبنا يستميت في الدفاع عن الجمعية ورجالها في كثير من المواقف، ولعل أبرز مثال على ذلك دفاعه عن الشيخ الإبراهيمي رئيس الجمعية لما اتهمته جريدة "**لاباتاي La Bataille**" على لسان مدير تحريرها السيد "**كيلسي**" بتوجيه دعوة إلى مأدبة غذاء على شرف الوالي العام الجديد للجزائر "**مارسيل إيدمونت نايجلان Marcel Edmond Naelgelen** "غير أن هذا الأخير رفض الدعوة بحجة أنه لا يريد أن يأكل خبزا وملحا من أيدي الذين يحسنون ضيافته وفي نفس الوقت يعملون جاهدين لطرد فرنسا من الجزائر، فحسب رضا حوحو أن هذا الخبر لا يعدو أن يكون مجرد **"خرافة لا أصل لها من الصحة"**، وحسبه دائما فإنه حتى ولو كان هذا الخبر صحيحا، فإن فرنسا لم تترك للشيخ كباقي الجزائريين **"فإنه مثل مواطنيه الجزائريين الشرفاء لم لهم المسيو كيليسي و أعوانه ما ينفقونه على إقامة المآدب الفاخرة للوالي العام، وأن أحسنهم لا يملك في بيته كرسيا لجلوس أصحاب السعادة والمعالي"(البصائر.عدد30 :1948)**.

وكان مارسيل إيدمونت نايجلان قد تولى شؤون الجزائر خلفا للوالي العام آنداك الاشتراكي **إيف شاتينيو Yves Chataigneau** الذي تتفق حوله معظم المصادر على أنه سعى إلى إجراء انتخابات نزيهة، مما سبب له نقمة المعمرين الذين اتهموه بالانحياز إلى الجزائريين ولقبوه"محمد شاتينيو"(**زوزو، ع ح.2004 :306**)، فعزل وعين مكانه الاشتراكي **مارسيل إيدمونت نايجلان** الذي لجأ إلى كل وسائل التزوير، والقمع من أجل إيقاف نشاط الحركة الوطنية(**حربي، م، 1994، ص14**)، كاعتقاله خلال انتخابات المجلس الجزائري لشهر أبريل 1948 لثلاثة وثلاثين مرشحا من مجموع تسعة وخمسين مرشحا، ومعظمهم كما يظهر كانوا من مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي كان يخشى أن تستحوذ على معظم المناصب حسبما يذكر المرحوم بن يوسف بن خدة حين يؤكد على أن "مجرد التفكير في تحقيق فوز ساحق من طرف حركة انتصار الحريات الديمقراطية في انتخابات المجلس الجزائري المرتقب لم يكن ليحصل على رضا كبار المستوطنين"(**بن خدة، ب.2012 :167**).

اعتبر رضا حوحو أن الجمعية قدمت خدمة جليلة للجزائريين بنشر الثقافة بينهم، فهي الوحيدة من بين الأحزاب والجمعيات التي حملت على عاتقها هذه المهمة **"وعملها الصامت المجدي في صالح هذه البلاد...والحقيقة أن حركة الثقافة العربية في هذه البلاد، أصبحت لا تستسيغ إلا الغذاء الذي تقدمه لها الجمعية"(البصائر، عدد30 :1948)**، فكل الأحزاب بمختلف توجهاتها رفعت عن كاهلها هذه المهمة وألقتها على عاتق رجال الجمعية، وفي رأيه فإن هذه المسؤولية ثقيلة وجسيمة تجز الجمعية

على تحملها لوحدها، ولهذا نجده يدعو الأحزاب إلى تأسيس جمعيات تنشر الثقافة بين الشباب وترفع مستواه بل يدعوهم إلى إنشاء معاهد صناعية تلقن الشباب بعض الحرف، وهكذا يساهموا في القضاء على البطالة(**حوحو، أ ر.1982 : 73**).

وإضافة إلى ذلك نجده يدافع عن معهد ابن باديس ويرى فيه ذلك النور الذي انبعث في وسط الظلام الحالك، ورغم رسالته النبيلة فإن أعضاءه واجهوا الكثير من العراقيل والمشاكل ليس من قبل الإدارة الاستعمارية فحسب ولكن حتى من قبل بعض الجزائريين الذين رأوا فيه تهديدا لمصالحهم، التي سوف لن تتحقق إلا ببقاء هذا المجتمع جاهلا "فقد تخوف منه قبل الاستعمار كثيرون من الاستغلاليين الذين لا تحلو لهم الحياة إلا إذا كانت على حساب جهل أمتهم وانحطاطها، وإنه لنوع غريب من تنازع البقاء" (**البصائر.عدد30 :1948**).

ب-3 موقفه من أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية:

يشرّح أحمد رضا حوحو الوضع السياسي الجزائري بعد 1945 تشريحا دقيقا، فنجده ينتقد السياسة ورجالها نقدا لاذعا، ويعتبر الأحزاب الناشطة آنذاك، أحزاب مناسبات لا تنشط إلا في زمن الانتخابات، لتعود إلى سباتها بعد ذلك، فحسب رأيه "**أن السياسة في بلادنا –أي الجزائر- سياسة انتخاب، تنشط وتعمل قبيل فتح الصندوق بأيام، حتى إذا ظهرت النتيجة وفاز من فاز، وخاب من خاب، عاد كل شيء إلى مجراه الأول، عاد النشاط إلى مكمنه، وعاد الحماس إلى مخبئه، وعاد البؤس الذي يضرب الأمة إلى عادته"(حوحو، أ ر.1982 :21)**.

لم يتوقف رضا حوحو عن نقده لرجال السياسة عند هذا الحد بل يتعدى ذلك إلى إنكاره لهم رفضهم للنقد، وسعيهم الحثيث وراء تحقيق مآربهم الخاصة على حساب مصلحة شعبهم رافضين من أجل ذلك كل فكرة تتعارض مع توجهاتهم **"فهذا سياسي يغضب لنقدي الخفيف للسياسة، فيحاول إرغامي على توجيه هذا النقد إلى حزب أخصصه أو هيئة أعينها وهو يريد أن يستغل هذا النقد وهذا القلم لخدمة حزبه لا خدمة السياسة عامة، وهو يجهل أن هذا القلم شديد العنان، لا يسخّر ولا يباع مهما غلا الثمن ...وهذا سياسي آخر يوجب علي اعتناق حزب سياسي أختاره وإلا حرم علي الكلام في السياسة"(حوحو، أ ر.21:1982)**.

يرجع أحمد رضا حوحو تصرفات هذه الأحزاب بهذه الطريقة إلى عدم نضجها سياسيا واهتمامها بمصلحتها الخاصة، كما أنها لا تقوم على برامج وأفكار، ولا يهمها إصلاح أحوال الشعب، وفي هذا الشأن قال**"لا أريد أن ألطخ نفسي بأوحالها"، كما يرى أن هذا الواقع يدعو إلى السخرية، فرجال السياسة،**

حسبه، يرفضون النقد مهما كان نوعه بل "ويدعون العصمة" ويعتبرون النقد "معول تهديم لا دعامة إصلاح"(حوحو، أ ر.1982 : 14 -15).

يبدي رضا حوحو ألما وحسرة على مسارعة بعض الأحزاب إلى المشاركة في الانتخابات، رغم أن لا فائدة ترجى منها، لأن الوضع سيبقى على حاله وربما سيزداد تدهورا، ويقدم لنا مثالا حيا على ذلك من خلال تلك الأحداث الدامية التي وقعت بسور الغزلان يوم 4 أبريل 1948، والتي نتج عنها مقتل الكثير من الرجال، فنجده يتساءل عن الغاية التي سالت من أجلها كل تلك الدماء، وجوابه على ذلك **"كل ذلك ليجلس رجل من الناس ينتسب إلى هؤلاء الشهداء في الجنس و ينتسب إليهم في الدين على كرسي يسمي كرسي النيابة"(حوحو، أ ر.1982 : 15).**

كما كان من الأعضاء المشاركين في لجنة التحقيق في أحداث منطقة الأوراس التي أنشأتها الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها، حيث تشكل وفد ضم إلى جانبه كلا من السادة العربي دماغ العتروس، البشير بن غزال التاجر، "**عبد الرحمن أبو الضياف**، والمحامي **العمراني العيد**"وهم من أهل المنطقة، كلفوا بالتحقيق في القضية، فبقي الوفد أكثر من أسبوع في المنطقة وتمكن ما بين 11 و14 أوت 1951 من زيارة معظم المناطق والقرى واتصل بالسكان كما اتصل بالسلطات المحلية لتقصي الحقائق، ثم حرر تقريرا مفصلا عن حيثيات القضية التي أرجعها إلى انتخابات 17 جوان 1951 وما شابها من قمع و تزوير، خاصة تلك الاستفزازات التي بادر بها بعض القياد بإجبار السكان على انتخاب مرشحي الإدارة، فنتج عن ذلك تبادل للسب والشتم، ومما زاد الأمر تعقيدا قيام قايد دوار **كيمل** بضرب الناخبين الذين دافعوا عن أنفسهم فاتهم سكان هذا الدوار بتلقي الأوامر السياسية من "العصاة" المتواجدين في الجبال للتصويت على مرشحي حزب تقدمي –أي حركة انتصار الحريات الديمقراطية- وبعد انقضاء الانتخابات تعرض سكان قرى ودواوير المنطقة لشتى أنواع التعذيب بتهمة التعاون مع هؤلاء "العصاة"(**جريدة المنار، عدد08و09و10 :1951**).

إن هؤلاء النواب الذين وصلوا بهذه الطريقة حسبه لا يعبرون عن آمال وطموحات الشعب فهم في واد والشعب في واد، لأنهم لم ينتخبوا من قبله، بل عينتهم الإدارة عن طريق التزوير خدمة لمصالحها. إن ظاهرة التزوير الانتخابي التي يتطرق إليها حوحو مارستها الإدارة الاستعمارية بهدف إبعاد كل شخص لا يتماشى مع أهدافها وسياستها، وبالفعل لجأت معظم تشكيلات الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية إلى أساليب المقاومة السلمية تجاه السياسة القمعية الفرنسية، وكان على رأسها الانتخابات، إلا أنها لم تحقق النتائج المرجوة منها بسبب التزوير الفاضح الذي طبقته الإدارة الفرنسية بمباركة من المعمرين، ففي شهري جويلية وأوت 1945 جرت الانتخابات البلدية ثم تلتها الانتخابات الإقليمية في شهر

سبتمبر فانتخابات المجلس التأسيسي الأول في 21 أكتوبر من نفس العام، غير أن الأحزاب الجزائرية قاطعتها باستثناء الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان الحزب الجزائري الوحيد المشارك فيها(**زوزو، ع ح.2004 :303**)، وفي جوان 1946 جرت انتخابات المجلس التأسيسي الثاني فشارك فيها فرحات عباس باسم الحزب الديمقراطي للبيان الجزائري، والذي وجد مساندة من جمعية العلماء المسلمين، فتحصل على 72,5% من مجموع أصوات الناخبين مما مكنه من الاستحواذ على إحدى عشر مقعد من مجموع ثلاثة عشرة مقعدا(**زوزو، ع ح.2004 : 304**).

بعد ما أجريت انتخابات المجلس الجزائري لشهر أبريل 1948 التي أعلن عنها بعد إصلاحات أقرتها الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) يوم 20سبتمبر 1947 ونصت على تأسيس مجلس جزائري يتشكل من مائة وعشرين نائبا، ستون نائبا يمثلون الجزائريين ومثلهم من النواب للطرف الأوربي، رغم ما في ذلك من حيف للطرف الجزائري الذي شكل الأغلبية، فقد كانت لهذا المجلس صلاحية النظر في القضايا المالية للجزائر، كما عرفت سنة 1951 إجراء عمليتين انتخابيتين، الأولى تتعلق بتجديد نصف أعضاء المجلس الجزائري، وتمت ما بين 4 و11 فبراير 1951، وشارك فيها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري والأحرار الذين تحصلوا على الأغلبية المطلقة، بينما امتنعت حركة انتصار الحريات الديمقراطية عن المشاركة فيها، أما الثانية فتمثلت في الانتخابات التشريعية يوم 17 جوان 1951 الخاصة بتجديد نصف أعضاء المجلس، وجاءت نتائجها مخيبة للآمال حيث لم يفز أي مرشح من قائمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ويظهر أن هذه النتائج كانت سببا في قرار الحركة الوطنية الاتحاد في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها(**بن خدة، ب ي.2012، : 290-291**).

يتطرق أحمد رضا حوحو بنوع من السخرية إلى المطالب التي سيقدمها هذا النائب إلى الإدارة قائلا ":**سيطلب مبلغا من ميزانية الدولة لبناء أضرحة على جثث هؤلاء الشهداء ليبقوا رمزا للسيادة الاستعمارية، في هذه البلاد، ويطلب بناء سجن عظيم يزج فيه هؤلاء اليتامى والأرامل حتى يجدهم على مقربة منه كلما أراد أن يمتع بصره برؤية ثمرة جهوده، ويطلب تجويع البقية الباقية من الرجال حتى لا يقووا على الفرار إذا ما حاول الجند قتلهم في المستقبل"(البصائر، عدد33:1948)**.

إن هذا السياسي المتردي لن يجدي معه لا النقد ولا السخرية، حسب حوحو، لأنه أصبح متعودا على هذا الوضع، كما أن الأحزاب أضحت لا تتحرك إلا أوقات الانتخابات، والشعب أصبح لا يعيرها أي اهتمام، وإذا واصلت في هذه السياسة سيأتي يوم "**يعرض عنها الشعب يوما كل الإعراض وتصبح خرافة لا يؤمن بها أحد ولا يثق بها إنسان"(حوحو، أ ر.1982: 55)**.

ب-4 نقده لواقع المرأة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي:

بما أن المرأة هي العنصر الأساسي في أي مجتمع وهي المدرسة التي تنشئ أفردا صالحين، فقد أولى رضا حوحو لها اهتماما خاصا في كتاباته، وهذا التوجه ركزت عليه الجمعية في برامجها، وهذا الاهتمام لم يكن وليد عودته إلى الجزائر، بل منذ أن كان يقيم في الحجاز من خلال معالجته لواقع المرأة هناك لما ألف رواية "**غادة أم القرى أو خولة**".

إلى جانب ذلك فإنه يرى أن المرأة لا وجود لها داخل المجتمع، حينما شبهها بتلك الآلة التي يحتفظ بها في البيت لإنجاب الأطفال(**حوحو، أ ر.1982:15**).إنه يطالب المجتمع بضرورة الاهتمام بالمرأة، وخاصة في مجال التعليم، فعلى عاتقه تقع هذه المسؤولية، وفي رأيه أن المرأة تتجاذبها قوتان، الأولى تجذبها نحو الماضي فتبقيها سجينة البيت محرومة من حقها في التعليم، ولا تخرج إلى للضرورة القصوى "**ملفوفة في سوادها أو بياضها تتعثر في أذيالها، لا يعترف لها بحق ولا يعترف لها بمكانة"(حوحو، أ ر.1982 :97)**، أما القوة الأخرى فتريدها أن تكون سافرة تجوب الأسواق والملاهي دون حياء أو خجل، والحل لهذه المشكلة بالنسبة إليه يكون عن طريق اهتمام رجال الإصلاح بالمرأة بتعليمها وتربيتها على مبادئ الإسلام وفق واقع عصرها "**والويل للجزائر إذا ما فتكت المرأة الجزائرية بحجابها عن جهل، فلا تستطيع أي قوة يومئذ أن تعيده إليها"(حوحو، أ ر.1982:97-98)**.

ولعل ما يثبت مساهمة الجمعية في تعليم المرأة، تأسيسها لدار الحديث بتلمسان وإرفاقها بمدرسة عائشة أم المؤمنين لتعليم البنات، ولقد افتتحت دار الحديث في يوم 27 سبتمبر 1937 بحضور الشيخ عبد الحميد بن باديس وحوالي ثلاثة آلاف شخص مدعو، تخرج من هذه المدرسة عدد هام من الطالبات اللائي أصبحن فيما بعد معلمات بها، نذكر منهن على سبيل المثال:خديجة بن ديمراد، ربيعة بن الأحبيب، زليخة كراري، فتيحة قورصو، خديجة خلدون، زليخة إبراهيم عثمان، خيرة إبراهيم عثمان، ربيعة بن ثابت، زبيدة بوصالح، كنزة بلخوجة، فضيلة سلعاجي، زاهية عبورة، فاتحة أمراد بودية، رشيدة بن ديمراد، بل ووجدت من بينهن طالبة مكفوفة تدعى زوليخة كوار، تلقت تعليمها عن طريق السمع والتلقين، وكانت من الناجحات في شهادة التعليم الابتدائي، وإلى جانب ذلك قدمت المدرسة عددا من الشهيدات خلال الثورة التحريرية مثل الشهيدتين مليحة حميدو عويشة حاج سليمان(**فضلاء، م ح.1999 : 26**).

ب- 5 التعليم:

يعتبر التعليم حجر الأساس لتطور أي مجتمع، لذا عمل الاستعمار الفرنسي على تجهيل الشعب الجزائري من خلال تبني مشروع مزدوج قائم على التعليم الأوربي والتعليم الخاص بالأهالي الذي يسعى إلى الهيمنة الفكرية مما يسمح لفرنسا بالبقاء في الجزائر، وبناء على ذلك فقد ميز أحمد رضا حوحو بين التعليم الرسمي والتعليم الحر، حيث ينتقد بشدة التعليم الرسمي الذي يرى بأن غايته تجهيل الناس وليس تعليمهم(**فضلاء، م ح.16:1999**)، كما نجده ينتقد كذلك الطرق المتبعة في التدريس بالمدارس الأهلية، ويرى أنها تقوم على الحفظ الذي لا فائدة ترجى منه"**وأدركت الصعوبة التي يجدها في مهمته الشاقة ولمست الطريق الشائك الذي يسلكه لغرضه النبيل، حيث أن التلميذ لا يعرف غير الحفظ، والحفظ عنده الوسيلة الوحيدة للتعلم، أما الملكة، أما الذهن، أما الفكر فهذه القوى تكاد تكون عاطلة عن العمل عـند أغلب الطلبة"(فضلاء، م ح.1999 :88)**.

إن ما يجب الإشارة إليه في هذا المجال أنه قبل صدور مرسوم 5 مارس 1949 الذي أحدث تغييرا جذريا في منظومة التعليم الابتدائي من خلال دمج التعليم الأوربي مع التعليم العربي الإسلامي، وإلغاء كل مظاهر التمييز بينهما وجدت في الجزائر نوعين من المدارس الأوربية والمدارس الأهلية، وحسب إحصائيات عام 1944 استقبل النوع الأول منها 160000 تلميذ، منهم 40000 تلميذ جزائري، أي الربع أما ثلاثة أرباع الأخرى فتتشكل من أبناء المعمرين في حين استقبل النوع الثاني 92000 تلميذ منهم 90000 تلميذ جزائري، أي أن مجموع تلاميذ المرحلة الابتدائية في عام 1944 حسب هذه الإحصائيات، أوربيون وجزائريون، كان 252000 تلميذا، منهم 122000 تلميذا من أبناء المعمرين، وهذا الرقم يشكل 90% من مجموع أولئك الذين بلغوا سن التمدرس، في حين لم يزد عدد الجزائريين على 130000 تلميذ، وهو رقم لا يشكل إلا نسبة 8% من مجموع أبناء الجزائريين الذين بلغوا سن الالتحاق بالمدرسة، أي أن نسبة هائلة منهم لم تلتحق بمقاعد الدراسة، فكان هذا الوضع سببا لإصدار مرسوم عام 1949 السابق الذكر(**Bulletin de l'académie d'Alger.1957:97**).

كما عملت فرنسا جاهدة لترغيب الجزائريين الالتحاق بالمدارس الفرنسية، من خلال إصلاح "التعليم الأهلي"، ومن أمثلة هذه الإصلاحات ما جاء به"**جول فيري**"الذي جاء بفكرة "المدرسة الجمهورية" التي أوكلت إليها مهمة تكوين طبقة متعلمة من الجزائريين، ولكن من الدرجة الثانية، أي أعوانا فقط، فهي لا تكون الأطباء والمعلمين والقضاة بل مساعديه(**هلال، ع .1995 : 105 -106**).

ما يمكن أن نستنتجه من المعطيات الرقمية السالفة الذكر أن إصلاحات فرنسا في مجال التعليم وخاصة إستراتيجيتها لتوفير مقعد دراسي لكل طفل جزائري أثبتت فشلها، وأن ادعاءها بنشر التعليم الرسمي الفرنسي بين الجزائريين لم يكن إلا شعارا ظاهريا فقط، ففي الواقع بقيت تفرض قيودا وتمييزا

فيما يخص التحاق هؤلاء بالمدارس الفرنسية، فمثلا حددت اللجنة العليا للإصلاح الإسلامي في عام 1943 عدد الأطفال الجزائريين الذين بلغوا السن القانونية للالتحاق بالمدرسة ب 1250000 طفلا، وفي نفس الوقت وضعت مشروعا يهدف إلى تمكين مليون طفل جزائري من مقعد دراسي أي بمتوسط 20000 قسم كان يجب بناؤها، وهذا ما يجعل القسم الواحد يستوعب 50 تلميذا(**Bulletin de l'académie d'Alger.1957 : 98**)، لكن يظهر أن هذا المشروع بقي حبرا على ورق، ولم يطبق في الواقع.

إن اشتغاله بالتعليم، خاصة في معهد ابن باديس جعله يلمس مكمن الضعف في المنظومة التعليمية التي أوجدتها الإدارة الاستعمارية آنذاك، فهو يرى أن التلاميذ يرهقون بحفظ مواد تفوق مقدرتهم العقلية الصغيرة، ولهذا نجدهم يحفظون، ثم يستظهرون ذلك دون فهم، أما ملكة التفكير والفهم فعاطلة، ولما يكبر هذا الطالب يصبح **"بليدا عديم الفهم والإدراك، يصعب على المصلح علاجه وهو في سنواته الأخيرة"(هلال، ع.1995: 89-90)**.

كما نجده ينتقد كذلك التعليم المسجدي، فيرى أنه يلقن للطالب كل شيء **"دون اختيار الصالح من غير الصالح، ودون مراعاة المفيد من غير المفيد"**، ويحفظ كل ما قدم له دون معرفة الفائدة والغاية من كل هذا الكم من المعلومات، فالعلم في رأيه لم يعد"للعبادة و التبرك وحدهما وإنما أصبح وسيلة حيوية ضرورية لرقي الحياة المعيشة، سواء كانت الحياة فردية أو اجتماعية ورقي الحياة الاجتماعية إنما يتوقف على تقدم الفرد ورقيه، وما هذا المجتمع إلا مجموعة من الأفراد، راقيا إن كانت راقية، أو منحطا إن كانت منحطة"(**البصائر، عدد90 :1949**).

يقترح أحمد رضا حوحو حلولا لمشكلة التعليم تتضمن برنامجا دراسيا فعالا يرتكز على تربية عقل الطفل في المراحل الأولى من التعليم، فالطفل لا يحتاج إلى التعلم بقدر ما يحتاج إلى تربية فكره وتمرين ذهنه على فهم المسائل البسيطة وهضمها واستنتاج فوائدها، لأن الاستظهار بدون فهم في المراحل الأولى هو**"العلة الوحيدة والداء العقال الذي يضر بالتلاميذ"**، فهو يولد فيهم التكلم بدون تفكير(**حوحو، أ، ر.1982 : 90**).

كما يقترح تعميم وتشجيع التعليم العربي، الذي تكفلت به مدارس الجمعية، رغم صعوبة المهمة والعراقيل العديدة التي تواجهها، ولكن رغم كل ذلك فرض وجوده وأضحى يستقطب عددا هاما من أبناء الجزائر، وهذا راجع إلى عناية الله تعالى وكذا **"همم الرجال العالية، وعزائم الرجال الحادة وأعمال الرجال الجبارة، قامت بما تعجز عنه الحكومات وما لها من أموال ونفوذ"(البصائر، عدد44 :1948)**.

خاتمة: لقد كان أحمد رضا حوحو من رجالات الجزائر الذين وقفوا ضد كل المحاولات الفرنسية الاستعمارية الساعية للسيطرة على الأرض والإنسان من خلال قلمه الذي سخره لخدمة مختلف القضايا الوطنية، وشكل أحد الرموز الوطنية التاريخية التي امتزج لديه فعل المقاومة بواسطة سلاح الكتابة مع فعل المقاومة بواسطة الرصاص، فكان على استعداد للتضحية في سبيل القضايا الوطنية، ومثالا في الالتزام المطلق بالثورة التحريرية في محاربة السياسة الاستعمارية التغريبية الساعية لطمس الهوية الجزائرية .

البيبلوغرافيا:

المصادر باللغة العربية:

- بن يوسف (بن خدة)، **جذور أول نوفمبر 1954، الطبعة الثانية، الجزائر**، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، 2012
- حوحو أحمد رضا، **مع الحمار الحكيم**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- حربي(محمد)، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض** (ترجمة نجيب عياد، صالح المثلوثي)، موفم للنشر، الجزائر، 1994.

المراجع باللغة العربية:

- هلال (عمار)، **أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- فضلاء (محمد الحسن)، **المسيرة الرائدة للتعليم الحر بالجزائر**، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، شركة دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 1999.
- زوزو (عبد الحميد)، **محطات في تاريخ الجزائر - دراسات في تاريخ الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية** (على ضوء وثائق جديدة)، دار هومة، الجزائر، 2004.

الجرائد:

- البصائر، العدد 29، 29 مارس 1948 ، بيني وبين الناس.
-البصائر، العدد30، 5 أبريل 1948 "المسيو كيلسي وكفاحه".
- البصائر، العدد 33، 26 أبريل 1948 "بيني وبين نفسي- على هامش الانتخاب
-البصائر، العدد 44، 26 جويلية 1948 "الصفحة الأولى في تاريخ معهد عبد الحميد ابن باديس".
-البصائر، عدد 90، 05 سمبتبر1949، تقوية مدارك الطلبة بالخطابة والكتابة والتمثيل .

المذكرات الجامعية:

- حوحو أسامة، **الأستاذ أحمد رضا حوحو حياته و آثاره 1910-1956** (دراسة تاريخية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2005- 2006.

باللغة الفرنسية:

Bulletin de l’académie d’Alger, Ancienne imprimerie V. Heintz, Alger, Novembre 1957.